تفسير ابن كثير

يقول تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم { الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا } أي خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه { وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون } أي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين ثم قال تعالى مادحا للأنصار ومبينا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى : { والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم } أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم قال عمر : وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم رواه البخاري ههنا أيضا .

قوله تعالى : { يحبون من هاجر إليهم } أي من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس قال : قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال [لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم] لم أره في الكتب من هذا الوجه .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال دعا النبي صلى الله عليه وسلّم الأنصار أن يقطع لهم البحرين قالوا لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال [إما لا فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم أثرة] تفرد به البخاري من هذا الوجه وقال البخاري : حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال : لا فقالوا : أتكفوننا المؤنة ونشرككم في الثمرة قالوا : سمعنا وأطعنا تفرد به دون مسلم { ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا } أي ولا يجدون في أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة .

قال الحسن البصري { ولا يجدون في صدورهم حاجة } يعني الحسد { مما أوتوا } قال قتادة يعني فيما أعطى إخوانهم وكذا قال ابن زيد ومما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس قال : كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال : [يطلع عليكم الان رجل من أهل الجنة] فطلع رجل من الأنصار

تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى فلما كان في اليوم الثالث قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام رسول ا صلى ا عليه وسلّم تبعه عبد ا بن عمرو بن العاص فقال : إني لا حيت أبي فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت قال [نعم] .

قال أنس : فكان عبد ا يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر ا وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد ا : غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت يا عبد ا لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول لك ثلاث مرات [يطلع عليكم الان رجل من أهل الجنة] فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : ماهو إلا ما رأيت فلما وليت دعاني فقال : ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه ا إياه قال عبد ا : فهذه التي بلغت بك وهي التي لا تطاق ورواه النسائي في اليوم والليلة عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس فا أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى : { ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا } يعني مما أوتوا المهاجرين قال وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في الأنصار فعاتبهم ا في ذلك فقال تعالى : { وما أفاء ا على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن ا يسلط رسله على من يشاء وا على كل شيء قدير } قال : وقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم] فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [أو غير ذلك] قالوا : وما ذاك يا رسول ا ؟ قال : [هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر] فقالوا : نعم يا رسول ا وقوله تعالى : { ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة } يعني حاجة أي يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك .

وقد ثبت في الصحيح عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم أنه قال : [أفضل الصدقة جهد المقل] وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف ا تعالى : { ويطعمون الطعام على حبه } وقوله { وآتى المال على حبه } فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه ومن هذا المقام تصدق الصديق Bه بجميع ماله فقال له رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ما أبقيت

لأهلك ؟] فقال Bه : أبقيت لهم ا ورسوله وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء فرده الاخر إلى الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم Bهم وأرضاهم .

وقال البخاري : حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير حدثنا أبو أسامة حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا أبو حازم الأشجعي عن أبي هريرة قال : أتى رجل لرسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال يا رسول ا أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال النبي صلى ا عليه وسلّم : [ألا رجل يضيف هذه الليلة C] فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول ا فذهب إلى أهله فقال لامرأته : هذا ضيف رسول ا صلى ا عليه وسلّم لا تدخريه شيئا فقالت : وا ما عندي إلا قوت الصبية قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفيء السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول ا A فقال : [لقد عجب ا D ـ أو ضحك ـ من فلان وفلانة] وأنزل ا تعالى : { ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة } وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة Bه .

وقوله تعالى : { ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون } أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح .

قال أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد ا بن مقسم عن جابر بن عبد ا أن رسول ا A قال : [إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم] انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن القعنبي عن داود بن قيس به .

وقال الأعمش وشعبة عن عمرو بن مرة عن عبد ا بن الحارث عن زهير بن الأقمر عن عبد ا بن عمرو قال : قال رسول ا A [اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الفحش فإن ا لا يحب الفحش ولا التفحش وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالفجور ففجروا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا] ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الأعمش كلاهما عن عمرو بن مرة به وقال الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع بن الجلاح عن أبي هريرة أنه سمع رسول ا A يقول : [لا يجتمع غبار في سبيل ا ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا] وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا المسعودي عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال قال : جاء رجل إلى عبد ا فقال : يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلكت فقال له عبد ا : وما ذاك ؟ قال :

سمعت ا يقول { ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون } وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئا فقال عبد ا : ليس ذلك بالشح الذي ذكره ا في القرآن إنما الشح الذي ذكر ا في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل .

وقال سفيان الثوري عن طارق بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن أبي الهياج الأسدي قال : كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلا يقول : اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فقلت له فقال : إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف Bه رواه ابن جرير وقال ابن جرير : حدثني محمد بن إسحاق حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا مجمع بن جارية الأنصاري عن عمه يزيد بن جارية عن أنس بن مالك عن رسول ا A قال : [برىء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة] .

وقوله تعالى : { والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم } هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان كما قال في آية براءة { والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان Bهم ورضوا عنه } فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لاثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية ولهذا قال تعالى : في هذه الاية الكريمة { والذين جاؤوا من بعدهم يقولون } أي قائلين { ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا } أي بغضا وحسدا { للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم } وما أحسن ما استنبط الإمام مالك لعدم نصيب الفيء مال في له ليس الصحابة يسب الذي الرافضي أن الكريمة الاية هذه من C اتصافه بما مدح ا به هؤلاء في قولهم { ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم } .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا محمد بن بشر حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن أبيه عن عائشة أنها قالت : أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم ثم قرأت هذه الاية { والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان } الاية وقال إسماعيل بن علية عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد A فسببتموهم سمعت نبيكم A يقول : [لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها] رواه البغوي وقال أبو داود : حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا أيوب عن الزهري قال : قال عمر Bه { وما أفاء ا على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب } قال الزهري : قال عمر Bه : هذه لرسول A خاصة وقرى عربية فدك وكذا مما أفاء ا على رسوله من أهل القرى فـ وللرسول ولذي القربى واليتامى

والمساكين وابن السبيل ـ وللفقراء المهاجرين الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم ـ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ـ والذين جاؤوا من بعدهم فاستوعبت هذه الاية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق قال أيوب ـ أو قال حظ ـ إلا بعض من تملكون من أرقائكم كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة بن خالد عن مالك بن أوس بن الحدثان قال : قرأ عمر بن الخطاب { إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل ا وابن السبيل فريضة من ا وا عليم حكيم } ثم قال : هذه لهؤلاء ثم قرأ { واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن خمسه وللرسول ولذي القربى } الاية ثم قال : هذه لهؤلاء ثم قرأ { ما أفاء ا على رسوله من أهل القرى فل وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا ا إن ا شديد العقاب * للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من ا ورضوانا وينصرون ا ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * والذين جاؤوا من بعدهم } ثم قال : استوعبت هذه المسلمين عامة وليس أحد إلا له فيها حق ثم قال : لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه